بطريركية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

القديس العظيم

أثناسيوس الرسولي يشرح التجسد

دراسة مبسطة في كتاب تجسد الكلمة

الأنبا موسى
مقف العام

بطريركية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

القديس العظيم

أثناسيوس الرسولي يشرح التجسد

دراسة مبسطة في كتاب تجسد الكلمة

الأنبا موسى
الأسقف العام

المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٥٥٨٥/ ١٩٨٦ م .

قداسة البابا شنوده الثالث

مقدمة

فى هذه الصفحات القليلة ، وبأسلوب مبسط جداً ، نلتقى مع القديس العظيم أثناسيوس الرسولى ، حامى الإيمان القويم ، وبطل مجمع نيقية ، وخير مَنْ شرح عقيدة التجسد الإلهى .

نلتقى به على صفحات كتابه الخالد « تجسد الكلمة » ، الذى كان ، وما يزال ، أوضح وأدق ما كتب عن هذا السر الإلهى العظيم .

لقد شرح لنا القديس أثناسيوس ضرورة ، وأهداف ، وبركات التجسد ، بصورة سهلة ، وتشبيهات واضحة جداً : كتشبيه الملك ، والفنان ، والمعلم ، والشمس ، والقش والاسبستوس .

وعقيدة التجسد ليس ترفاً فكرياً ، ولا جدلاً عقلانياً ، بل هى جوهر المسيحية ، وجوهر خلاصنا بآن واحد ... جوهر المسيحية ... لأنه بدون تجسد لا فداء ، ولا معرفة لله ، ولا إتحاد به . وجوهر

خلاصنا ... لأنه « عظيم هو سر التقوى ، الله ظهر فى الجسد » (١تى٣ : ١٦) . فالتجسد هو سر التقوى الإنسانية . حيث ننال من خلاله غفران خطايانا ، وتقديس كياننا ، وإنارة أذهاننا ، ثم شركة الطبيعة الإلهية .

فلتكن هذه الصفحات بركة لحياتنا جميعاً ، بصلوات قداسة البابا شنوده الثالث ، بطريركنا المكرم ، وخليفة القديس أثناسيوس .

الأنبا موسى

الأسقف العام

١

• أهمية عقيدة التجسد •

إن مَنْ يقرأ الكتاب المقدس ، وأقوال الآباء القديسين ، ويدرس الصراع اللاهوتى الرهيب حول طبيعة السيد المسيح ، وحقيقة جسده الذى أخذه من العذراء مريم ، ربما يذهل قائلاً : [لماذا كل هذا العناء ؟ وما أهمية هذه العقيدة حتى نصارع من أجلها ؟] .

الحقيقة أن عقيدة التجسد أخطر العقائد إطلاقاً فى الإيمان المسيحى ، والتهاون معها تهاون بخلاصنا . ويكفينا ما قاله الرسول بولس : « عظيم هو سر **التقوى** ، الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) .

معنى ذلك أن التجسد هو سر التقوى الإنسانية ، أى سر الخلاص المجهَّز للبشر . وهل هناك أهم من خلاص الإنسان ؟

« ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ، أو ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه » (مت١٦ : ٢٦).

التجسد إذن هو طريق خلاص الإنسان ، فبدون تجسد ما كان الفداء ، وبدون فداء المسيح لنا ما كان الخلاص . كذلك فالتجسد هو طريقنا إلى معرفة الله . ومعرفة الله أساسية للخلاص « هلك شعبى من عدم المعرفة » (هو٤ : ٦). وأيضاً التجسد هو طريق الإتحاد بالله ، حيث أنه [أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له] (القديس أثناسيوس). وهكذا بالتجسد صرنا « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢بط ١ : ٤).

وأخيراً ، فالتجسد هو الذى غيَّر مفهومنا للجسد الإنسانى ، الذى لم يعد نجاسة ، ولا عدواً للروح ، ولا سجناً له ، « فالجسد ... للرب ، والرب للجسد » (١كو٦ : ١٣)، الجسد ليسوع (١كو٦ : ١٣)، والإنسان المسيحى مدعو ــ من خلال التجسد ــ إلى أن يتغيَّر جسده إلى صورة جسد الرب الممجد ، ويصعد به إلى السماء ، ويحيا فيه إلى الأبد مع المسيح .

هذه كلها عطايا التجسد ، لذلك صارعنا أمام كل مَنْ يحاول

إنكار هذه العقيدة ، أو حاول أن يتلاعب بها . ليس حباً فى الجدل اللاهوتى والعقلانى ، بل تمسكاً ببركات هذا الحدث الخلاصى الخطير ، إن الله الكلمة « صار جسداً وحلّ بيننا » (يو١ : ١٤) .

+ + +

صارحنا أمام نسطور

الذى حاول أن يفصل بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح ، ونسى أن « الروح القدس يحلّ عليكِ ، وقوة العلى تظللكِ ، لذلك **فالقدوس** المولود منكِ يُدعى ابن الله » (لو١ : ٣٥) .

إذن فهى ليست ولادة طبيعية لإنسان عادى ، بل هى ولادة فيها يحلّ الروح القدس ، والمولود منها يُدعى « قدوس » (لو١ : ٣٥) ، و « ابن الله » (لو١ : ٣٥) .

ونسى نسطور صرخة اليصابات حين إمتلأت بالروح القدس ،

وحين رأت مريم وسمعت صوت سلامها ، وقالت لها : « من أين لى هذا ؟ أن تأتى أم ربى إلىَّ » (لو١ : ٤٣) . ومَنْ هو « القدوس » و « الرب » إلاَّ الله ؟!!

وننسى نسطور أن عدم قبول اللاهوت أن يتحد بالناسوت ، معناه بالتبعية عدم قبول الله أن يتحدنا . وهنا الطاقة الكبرى !! فهذا سرّ خلاصنا ، وفرحة خلودنا فى الرب ، الذى أعطانا أن نصير « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) .

+ + +

وصايعنا أمام أوطاخى

الذى حاول أن يدّعى أن جسد الرب كان جسداً غازياً خيالياً ، ولم يكن جسداً حقيقياً كاملاً ، فيما خلا الخطية وحدها .

وهذه بدعة قديمة ، نشأت فى أواخر القرن الأول ، وكانت تدعى [الدوسيتية] . ويتصور إحساساً منهم أن هذا الجسد

الإنسانى نجس ، ولا يليق بالرب أن يتحد به .

وهكذا بينما هم يتسامون باللاهوت ، حقّروا الناسوت ، وبالتالى الإنسان ، صنعة يدى الله ، المخلوق على صورة الله ومثاله ، تاج الخليقة .

كما أنهم بهذا الفكر أعطوا إحساساً بأن الله يستنكف أن يتنازل إلى طبيعتنا ، ويتخذ له منها جسداً ، لكى ينقذ أجسادنا من الفساد ، ويرتفع بها إلى السماء .

+ + +

لنستمع صريحاً ليوحنا الحبيب

وكتب فى رسائله تأكيدات كثيرة لحقيقة تجسد الرب ، فقال :

+ « الذى كان من البدء (اللاهوت) ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا (الناسوت) من جهة كلمة الحياة ... نخبركم به » (١ يو١ : ١-٣) .

+ « مَنْ هو الكذاب ؟ إلاَّ الذى ينكر أن يسوع هو المسيح .. هذا هو ضد المسيح !! » (١يو٢ : ٢٢) [إتحاد اللاهوت بالناسوت] .

+ « كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد ، فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد ، فليس من الله ... هذا روح ضد المسيح ، الذى سمعتم أنه يأتى ، والآن هو فى العالم » (١يو٤ : ٢ ، ٣) .

+ « الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب ، والكلمة ، والروح القدس . وهؤلاء الثلاثة هم واحد . والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة : الروح ، والماء ، والدم ، والثلاثة هم فى الواحد » (١يو٥ : ٧ ، ٨) .

+ « قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون ، لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد ... هذا هو المضل والضد للمسيح » (٢يو٧) .

+ – +

إذن فالتجسد عقيدة أساسية لخلاصنا ، قبل أن تكون ترفاً فكرياً أو لاهوتياً ...

فلننتبه إلى ما يقوله القديس العظيم أثناسيوس حتى لا يضيع نصيبنا فى الرب ...

• التجسد طريق الفداء •

نعم ، إذ كيف كان الرب سيفدينا ، ويموت نيابة عنا ، ويسفك دمه من أجلنا ، إلاَّ إذا إتخذ له جسداً إنسانياً قابلاً للموت ؟! إن الفادى المصلوب يجب أن يتحقق فيه المواصفات التالية :

(أ) غير محدود :

حيث أن خطيتنا غير محدودة ، إذ أنها موجهة نحو الله غير المحدود .

(ب) بلا خطية :

حيث أن الفادى لو كان خاطئاً لكان فى حاجة إلى مَنْ يفديه ... إذ أن [فاقد الشيء لا يعطيه] .

(ج) إنساناً :

حيث أن الذى أخطأ هو الإنسان ، والحكم قد صدر ضد الإنسان ، لذلك يجب أن يكون الفادى إنساناً ، يتم فيه حكم الموت .

(د) قابلاً للموت :

حيث أن الحكم هو الموت : « أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) .

+ [وماذا يعنى بقوله : « موتاً تموت » ؟ ليس المقصود مجرد الموت فقط ، بل أيضاً البقاء إلى الأبد فى فساد الموت] (القديس أثناسيوس فى تجسد الكلمة ف ٣ : ٥) .

+ [ولو كان الإنسان لم يمت بعد أن قال الله أننا نموت ، لأصبح الله غير صادق] (القديس أثناسيوس فى تجسد الكلمة ٦ : ٣) .

+ [وإذ قدم للموت ذلك الجسد ... **فقد رفع حكم الموت** فوراً عن جميع مَنْ تاب عنهم ، إذ قدم عوضاً عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم] (تجسد الكلمة ف ٩ : ١٠) .

+ [ولأن كلمة الله متعال فوق الكل ، فقد لاق به ــ بطبيعة الحال ــ أن **يوفى الدين بموته** ، وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية لأجل حياة الجميع] (تجسد الكلمة ف ٩ : ٢) .

+ [لأنه بذبيحة جسده **وضع حداً لحكم الموت** ، كان قائماً ضدنا ، ووضع لنا بداية جديدة للحياة ، برجاء القيامة من الأموات الذى أُعطاه لنا] (تجسد الكلمة ١٠ : ٥) .

+ + +

وهكذا كان الفادى الوحيد الذى يمكن أن ينطبق عليه المواصفات : غير المحدود + بلا خطية + إنسان + يموت ، هو رب المجد يسوع المسيح ، حيث أنه الكلمة المتجسد ، الإله المتأنس ، الذى هو إله حق من إله حق ، وتجسد بإنسانية كاملة دون خطية لخلاصنا .

بلاهوته : هو غير محدود وبلا خطية .
وبناسوته : هو إنسان يمكن أن يموت .

+ + +

وهكذا إرتفع على الصليب ، ليحمل عقاب خطايانا . نحن الذين أخطأنا ، وهو الذى تألم . نحن الذين صرنا مديونين للعدل الإلهى بذنوبنا ، وهو الذى دفع الديون عنا . حيث أنه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

وكيف كان اللوغوس (الكلمة) الإله ، يمكن أن يُسفك له دم ، إلاَّ إذا أخذ جسداً ، وسمح له بالموت ، وبسفك الدم أيضاً ؟!

من هنا ... فالتجسد هو طريق خلاصنا .

(٣)

• التجسد طريق المعرفة •

التجسد أيضاً هو طريق معرفتنا لله ... المعرفة التى كان من المستحيل أن تتم لولا أن الله تجسد !!

تصور أننا خليقة الله ، ولا نعرفه !! ما المنفعة إذن ؟ وهنا نقتبس كلمات العظيم أثناسيوس : [ما المنفعة للمخلوقات ، إن لم تعرف خالقها ؟ أو كيف يمكن أن تكون عاقلة ، بدون معرفة كلمة وفكر الآب ، الذى أوجدهم فى الحياة ؟ لأنه إن كانت معلوماتهم محصورة فى الأمور الأرضية ، فلا شىء يميزهم عن البهائم العديمة النطق . نعم ، ولماذا خلقهم الله .. لو كان يريدهم أن يعرفوه ؟] (الفصل ١١ : ٢) .

+ + +

إن الله منذ البداية ، حينما خلق الإنسان ، أعطاه بصلاحه

[نصيباً من صورته ــ ربنا يسوع المسيح ــ وخلقهم على صورته ومثاله ، حتى إذا ما رأوا تلك الصورة ، أى كلمة الآب ، إستطاعوا أن يكوّنوا فكرة عن الآب . وإذا ما عرفوا خالقهم ، عاشوا الحياة الحقيقية السعيدة المباركة] (فصل ١١ : ٣) .

+ + +

وهنا نتعرف على الهدف الثانى من التجسد ، وهو معرفة الله .

فالبشر فى خلاصهم تركوا الله ، وأظلمت أنفسهم ، وأخترعوا شروراً كثيرة ، وعبدوا الأوثان اليكم ، وأكرموا المخلوقات دون الخالق ، وحولوا مجد الله إلى الخشب والحجارة والأشياء المادية ، بل أنهم إنحدروا إلى عبادة الشيطان ، وصاروا عبيداً للشهوات الجسدية ، والسحر والعرافة والتنجيم ، إذ [أصبح كل البشر ينسبون سبب ميلادهم ، بل وجودهم ، إلى الكواكب والأجرام السماوية ، ولم يفكروا إلاّ فى المنظور] (فصل ١١ : ٤-٦) .

+ + +

وإذ وجد الرب الإنسان تائهاً فى ظلمة فكرية رهيبة ، ومنحدراً

إلى الحسيات والمنظورات ، جاء فى شكل حسى منظور ، ليتعرف الإنسان عليه ، وعلى الآب من خلاله ، و ينال فعل الروح القدس فى حياته .

+ + +

كان الإنسان فى القديم ، يتعرف على الله ، من خلال مصنوعاته المادية ، ومخلوقاته المنظورة ، « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مُدركة **بالمصنوعات** ، قدرته السرمدية ولاهوته ، حتى أنهم بلا عذر » (رو١ : ٢٠) ... وهكذا [إستطاعوا بواسطة المخلوقات ، أن يتجنبوا الجهل بالخالق] (فصل ١٢ : ١) .

ولكن هذه الطريقة ــ إدراك الله من خلال مصنوعاته ــ لم تكن كافية لخلاص الإنسان وتعريفه بالله ... لذلك أرسل الله إليهم **الناموس** ، ليعرفوه من خلاله .

وكان الناموس بأقسامه المختلفة : الطقسية (كالذبائح والقرابين) والأدبية (كالوصايا والشرائع) والموسمية (كالأعياد والمناسبات) ... كان الناموس يجتهد فى أن يتعرف الإنسان إلى

الله ، وأيضاً على ضعفه البشرى ... حيث أنه كان يكرر الخطايا ، و يكرر الذبائح ، ولا يعرف علاجاً ناجحاً . إلى أن جاء المسيح ، وفدى الإنسان ، وجدد طبيعته ، وأثارها بالمعمودية . وفعل الروح القدس .

من هنا كان التجسد سبيلاً إلهياً ليتعرف الناس على الله ، فقد تنازل الله إلينا ليعرفنا بذاته ، حيث كان من المستحيل أن نصعد نحن إليه لنتعرف عليه !! فلا المخلوقات كانت كافية ، ولا الناموس والأنبياء ... لذلك جاء إلينا بنفسه ، متجسداً ليعرفنا بذاته ، كما قال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء ، بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » (عب ١ : ١) لاحظ الفرق بين **بالأنبياء و فى** ابنه ... الأنبياء مجرد وسائل ... لكن الابن حضور شخصى !!

٤

• التجسد مرتبط بالاتحاد بالله •

لم يكن كافياً أن يفدينا الرب على عود الصليب ، ولا حتى أن نتعرف عليه . فالمشكلة الخطيرة ليست فى رفع حكم الموت عنا بالفداء ، وإنارة عقولنا وقلوبنا بالكلمة ، المهم كل الأهمية ، أن ينتهى الفساد الذى لوث طبيعتنا ، ومنعها من الإتحاد بالله إلى الأبد .

ما المنفعة أن يسامحنى الله على ما فات ، دون أن يجدد طبيعتى و يقدسها ، حتى تصير — بنعمته — فوق الخطيئة والسقوط ، وفوق الفساد الذى ورثناه عن آدم ؟!

من هنا كان الرد على السؤال التقليدى : [آدم أخطأ ، وحملنا معه الحكم إذ أخطأنا أيضاً . فما المشكلة أن يسامحنا الله و ينتهى كل شىء دون أن يموت عنا ؟] .

الجواب ... عند العظيم أثناسيوس :

+ [نزوله إلينا كان بسببنا ... وعصياننا إستدعى تعطف الكلمة] (فصل ٤ : ٢) .

+ [أغاثتنا كانت هي الغرض من تجسده] (فصل ٤ : ٣) .

+ [الله ــ إذ خلق الإنسان ــ **قصد أن يبقى فى عدم فساد** . أما البشر ، فإذ إحتقروا ورفضوا التأمل فى الله ، ودبروا الشر لأنفسهم ... فقد **إستحقوا حكم الموت** الذى سبق تهديدهم به . ومن ذلك الحين لم يبقوا بعد فى الصورة التى خلقوا عليها ، بل **فسدوا حسبما أرادوا لأنفسهم** ، وساد عليهم الموت كملك . لأن تعديهم الوصية أعادهم إلى حالتهم الطبيعية ، حتى أنهم كما نشأوا من العدم ، كذلك يجب أن لا يتوقعوا إلاَّ الفساد ، الذى يؤدى إلى العدم ، مع توالى الزمن] (فصل ٤ : ٤) .

+ لأنهم إن كانوا بحضور « الكلمة » وتعطفه قد دُعوا إلى الوجود ، من الحالة الطبيعية الأولى وهى عدم الوجود ، فإنهم بطبيعة الحال متى تجردوا من معرفة الله ، عادوا إلى العدم [لأن

كل ما هو شر فهو عدم ، وكل ما هو خير فهو كائن وموجود] (فصل ٤ : ٥) .

+ + +

إذن ، فقد كانت نتيجة دخول الخطيئة إلى الإنسان ، دخول الفساد والإنحلال إلى طبيعته . ولهذا طرد الله آدم من الفردوس ، حيث خشى أن يأكل من شجرة الحياة « ويحيا إلى الأبد » (تك ٣ : ٢٢) ؛ يحيا إلى الأبد فى فساد وإنحلال .

ولهذا أيضاً تجسد الكلمة ، وفدى الإنسان ، وسكن فى بطن العذراء ، ليسكن فى قلب كل واحد منا ، ويتحد بنا ، مجدداً طبيعتنا الفاسدة ، وحيّاً فينا إلى الأبد ، فى عدم فساد .

+ + +

وهكذا بعد أن كان البشر قد خلقوا « على غير فساد ، وصنعوا على صورة أزلية الله ، لكن الموت دخل إلى العالم بسبب إبليس » (حك ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ؛ وصار الإنسان قابلاً للموت ، وساقطاً فى

الخطيئة ... بل أن البشر [تدرجوا فى الشر حتى تخطوا كل حدود . وأصبحوا يخترعون الشر و يتفننون فيه ، إلى أن جلبوا على أنفسهم الموت والفساد ... فها هى خطايا الزنا والسرقة والقتل والنهب ... بل صاروا يرتكبون الجرائم فى كل مكان كأفراد أو كجماعات ... وصار كل إنسان يتنافس مع أترابه فى الأعمال القبيحة ... بل أصبحوا لا يترفعون حتى عن اجرائم التى ضد الطبيعة ...] (فصل ٥ : ٣ـ ٥) .

+ + +

لكن شكراً لله ، لأن تجسد الرب أعطانا الفرصة أن يسكن فى أجسادنا ، و يتحد بأرواحنا ، و يقدس قلوبنا هيكلاً مقدساً له :

+ « مَنْ يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت **فىَّ** ، وأنا فيه » (يو٦ : ٥٦) .

+ « المسيح فيكم رجاء المجد » (كو١ : ٢٧) .

+ « أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله يسكن **فيكم** » (١ كو٣ : ١٦) .

+ « أنا فيهم وأنت فىَّ » (يو٧ : ٢٣) .

+ « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » (أف ٣ : ١٧) .

+ « أم لستم تعرفون أنفسكم ، أن يسوع المسيح هو فيكم ، إن لم تكونوا مرفوضين » (٢ كو١٣ : ٥) .

+ « إذن ، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو٨ : ١) .

+ + +

ما أسعدنا بك يا ابن الله !!

ما أسعد أولادك ، بهذا المجد العظيم !!

مجد سكناك فى داخلنا !!

مجد إتحادنا بك !!

مجد « شركة الطبيعة الإلهية » !!

أى فساد يتحدانا بعد الآن ؟؟

وأنت الذى قلت :

« مَنْ آمن بى ، ولو مات فسيحيا » (يو ١١ : ٢٥) .

فصرنا نهتف من ورائك :

« يعظم إنتصارنا بالذى أحبنا » (رو ٨ : ٣٧) .

« مع المسيح صُلِبتُ ...

فأحيا لا أنا ...

بل المسيح يحيا فىَّ » (غل ٢ : ٢٠) .

٥

تشبيه الملك

من التشبيهات المفيدة التى شرح من خلالها القديس أثناسيوس عقيدة التجسد : تشبيه الملك ... فقال :

[كما أنه لو دخل ملك عظيم إلى مدينة عظيمة ، واتخذ إقامته فى أحد بيوتها ، فإن هذه المدينة تتشح بالشرف الرفيع ، ولا يعود عدو أو لص ينزل إليها لإخضاعها ، بل على العكس ، تعتبر مستحقة لكل عناية ، لأن الملك اتخذ مقره فى بيت من بيوتها ... هكذا كانت الحال مع ملك الكل . فإنه إذ أتى إلى عالمنا ، واتخذ إقامته فى جسد واحد بين أترابه ، فقد بطلت كل مؤامرة العدو ضد الجنس البشرى منذ ذلك الحين ، وزال عنهم فساد الموت الذى كان سائداً عليهم من قبل]

(فصل ٩ : ٣ ، ٤) .

+ وفى هذه الفقرة يوضح القديس أثناسيوس كيف أن سكنى الرب فى العذراء القديسة مريم ، كان تكريماً للجنس البشرى كله . لأن سكنى الملك فى أحد بيوت المدينة هو تكريم للمدينة كلها .

+ والأمر الثانى أن هذا التكريم حمى الجنس البشرى من العدو الذى أراد إخضاعه ، واللص الذى أراد أن يسرق ما فيه من نعمة ومجد ... وذلك من خلال قيام الملك العظيم (الرب يسوع) بالدفاع بشخصه عن المدينة ضد العدو الشيطان . وهكذا إنتزعنا من براثنه ، وجدد طبيعتنا بنعمته ، وأزال وصمة الفساد وحكم الموت الواقع علينا .

+ + +

ثم يستمر القديس أثناسيوس فى الشرح فيقول :

[إذا أسس ملك منزلاً أو مدينة ، وألحق بها اللصوص بسبب إهمال سكانها ، فإنه لا يهملها أو يتغاضى عنها بأى حال ، بل يقوم ويهتم وينتقم من

العابثين بها ، لأنها صنعة يديه ، غير مبالٍ بإهمال سكانها ، بل بما يليق بذاته . وهكذا الله ، كلمة الآب ، الكلي الصلاح ، لم يهمل الجنس البشرى ، صنعة يديه ، ولم يتركه للفساد ، بل أبطل الموت بتقديم جسده ، وعالج إهمالهم بتعاليمه ، ورد بسلطانه كل ما كان للإنسان] (فصل ١٠ : ١) .

+ + +

+ وفى هذه الفقرة يضيف القديس أثناسيوس ثلاث حقائق وهى :

١ ـ أن الله تدخل لخلاصنا رغم إهمالنا وتهاوننا ، لأنه فعل ما يليق بصلاحه واقتداره وحبه ، لا بما تستوجبه أعمالنا الرديئة .

٢ ـ ان الرب عالج إهمالنا بوسيلتين هما :

(أ) الفداء : على الصليب ، مجدداً طبيعتنا .

(ب) التعليم : بالكلمة فى الإنجيل المقدس .

٣ ـ ان الرب بهذه الطريقة رد إلى آدم كل ما كان له ، أى

أعاده إلى الشركة الإلهية ، وإلى الصورة الأصلية التى خلق عليها ، وإلى شركة الطبيعة الإلهية المقدسة ، وإلى ميراث الأبدية والخلود وشجرة الحياة .

+ + +

و يستمر القديس أثناسيوس فى تشبيه الملك فيقول :

[إن أى ملك من ملوك الأرض — وهو مجرد إنسان بشرى — إذا إمتلك بلاداً لا يتركها لآخرين لكى تخدمهم ، ولا يتنازل عنها لغيره ، ولكنه ينذر أهلها برسائله ، ثم يتصل بهم بواسطة الأصدقاء مراراً ، وإذا إقتضى الأمر يذهب بشخصه إليهم كآخر وسيلة يلجأ إليها لتوبيخهم ... كل ذلك لكى لا يخدموا آخرين ، فيذهب عمله هباءً منثوراً] (فصل ١٣ : ٥) .

+ + +

وهنا يضيف العظيم أثناسيوس نقاطاً أخرى هى :

١ ـ أن الله أرسل إلينا الناموس ، ثم الأنبياء ، لتعليمنا وإنذارنا ، كي لا نخدم سواه ، خلاصاً لأنفسنا ، ولكننا لم نستفد من هذه الوسائل ، ولا إستطاعت هي أن تخلصنا .

٢ ـ لذلك لجأ إلى الحل الأخير ، وهو أن يأتي بشخصه ليخلصنا لملكوته السماوي .

+ + +

إذن فمن بركات **التجسد** في هذا التشبيه ما يلي :

١ ـ تكريم الطبيعة الإنسانية بالسكنى فيها .

٢ ـ تكريم الجنس البشري كله .

٣ ـ الله تدخل لخلاصنا رغم إهمالنا وتهاوننا .

٤ ـ الرب عالج إهمالنا بتجديدنا بالفداء ، وتعليمنا بالإنجيل .

٥ ـ الرب رد آدم إلى صورة أمجد مما كان فيها .

٦ ـ الرب تدخل بنفسه لخلاصنا ، غير مكتف بالناموس والأنبياء .

هذا هو التشبيه الثاني للقديس أثناسيوس ، الذى يشرح لنا من خلاله عقيدة التجسد ، فيقول :

[وإن تلطخت الصورة المرسومة على الخشب بالأدران من الخارج ، وأزيلت ... فلا بد من حضور صاحب الصورة نفسه ثانية لكى يساعد الرسام على تجديد الصورة ، على نفس اللوحة الخشبية . لأنه إكراماً لصورته يعز عليه أن يلقى بتلك اللوحة ، وهى مجرد قطعة خشبية ، بل يجدد عليها الرسم] (فصل ١٤ : ١) .

+ + +

وفى هذا التشبيه يؤكد لنا القديس أثناسيوس الحقائق التالية :

١ ـ أن الله خلقنا على صورته ومثاله ، وهذا هو الفرق الجوهرى بين الإنسان وكل الكائنات الأخرى ، فالإنسان تاج الخليقة ، فيه عقل مستمد من نور الكلمة ، وروح مستمدة من روح الله ، وحرية إرادة كالحرية التى يحباها الله (مع الفارق طبعاً) ، وقداسة مستمدة من عشرته مع القدوس ، وخلود عليه أن يحسن إختيار حالته .

٢ ـ الصورة مرسومة على الخشب ، أى الجسد الإنسانى الضعيف ... الذى سيتحول بالقيامة فيما بعد إلى جسد نورانى ممجد .

٣ ـ جاءت (الأدران من الخارج) ولوثت الصورة ، وأزالت معالمها المميزة والجميلة ، رمزاً لغواية الشيطان لأمنا حواء . وبالفعل تلوثت صورة الله فى الإنسان وأزيلت وتشوهت ... فلا عاد عاقلاً وحكيماً ، بل أصابته حماقة الخطيئة حتى قتل الأخ أخاه . ولا عاد روحانياً متسامياً ، بل إنغمس فى طين الأرض والترابيات والمادة . وكذلك فقد حريته إذ صار عبداً للخطيئة والشيطان ، وقداسته إذ تلوثت أفكاره ومشاعره وإرادته وتطلعاته . وهكذا سقط تحت حكم

الموت ، وصار الخلود فى جهنم مصيراً رهيباً أمامه .

٤ ـ هنا تدخل صاحب الصورة الأصلى ، وجاء بنفسه إلى عالمنا ، لأن ملامح الصورة قد ضاعت ، ولابد من عودة الأصل ، لترسم الصورة من جديد مطابقة لملامحه . وهنا تأتى ضرورة حضور ابن الله ، وتدخله الشخصى بالتجسد والفداء . إنها خلقة جديدة !!

٥ ـ ولكن المهم أن الصورة سترسم من جديد على نفس اللوحة الخشبية القديمة ، بمعنى أن الرب لن يلغى الإنسان الساقط ، ويرسم صورته على إنسان جديد يخلقه ، بل إنه من فرط حبه للإنسان الساقط ، ومن فرط غيرته على صورته التى كانت فيه ، سيعاود رسمها على نفس اللوحة ، نفس الطبيعة القديمة ، يجددها ويعيدها إلى وضعها الأصلى ، بدلاً من أن يبيدها ويخلق غيرها .

ذلك لأن فناء الإنسان الأول بالموت ، وخلق إنسان جديد بدلاً منه ، فيه إعلان عن فشل خطة الله أمام تدخل وحسد إبليس ، وهيهات لإبليس أن ينجح !!

(٧)

تشبيه المعلم

فى هذا التشبيه يوضح القديس أثناسيوس ، صلاح المعلم الأعظم ، الذى لا ينتظر أن يرتفع تلاميذه إليه ، فهذا مستحيل عليهم ، لذلك فهو « ينزل » إليهم ، وهذا ميسور عنده ... فيقول :

[كما أن المعلم الصالح — الذى يعنى بتلاميذه — يتنازل إلى مستواهم ، إن رأى البعض منهم لم يستفيدوا بالعلوم التى تسمو فوق إدراكهم ، ويقدم إليهم تعاليم أبسط ، هكذا فعل كلمة الله كما يقول بولس أيضاً : « إذ كان العالم فى حكمة الله ، لم يعرف الله بالحكمة ، إستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » (١ كو١ : ٢١)] (فصل ١٥ : ١) .

+ + +

هنا يوضح القديس أثناسيوس أن البشر [إذ رفضوا التأمل فى الله ، وانحطت نظراتهم إلى أسفل ، كأنهم غاصوا فى العمق ، باحثين عن الله فى الطبيعة ، وفى عالم الحسيات ، ومخترعين لأنفسهم آلهة من البشر القابلين للفناء ، ومن الجن ... لهذا فإن مخلّص الكل ، المحب ، كلمة الله ، أخذ لنفسه جسداً ، وكإنسان مشى بين الناس ، وقابل أحساسات كل البشر فى منتصف الطريق ، وحتى يستطيع مَنْ يتخيلون الله هيولياً (ذا جسد) ، أن يدركوا الحق بما يعلنه الرب فى جسده ، ويدركوا الآب فيه] (فصل ١٥ : ٢)

+ بمعنى أن الرب أخذ جسداً ، ليصير من السهل علينا أن ندركه ، وندرك محبته وكمالاته وتدبيراته لخلاصنا ، وندرك من خلاله محبة الآب ورحمته على بنى البشر .

+ نعم ، جاءنا فى منتصف الطريق ، بمعنى أنه نزل إلى عالمنا آخذاً جسدنا ، لكى كل مَنْ يرتفع بفكره وروحه ويتسامى إلى الله ، يراه ويعرف حقيقته ، ويؤمن به ، أما من يتمسك بالنظر إلى التراب ، فلن يستطيع أن يلتقى بالرب حيث يأتى الإلتقاء .

+ وهكذا فالإنسان المتأمل الخاشع [**ينظر إلى الخليقة** بدهشة ورهبة] ، و يراها [تعترف بالمسيح رباً] .

+ وكذلك إذا **نظروا إلى البشر** ، وتوهموا أنهم آلهة ، [وجدوا أن أعمال المخلّص ــ إن قارنوها بأعمال البشر ــ قد أظهرته وحده ابن الله دون سائر البشر ، لأنه لم يقم بينهم قط مَنْ إستطاع أن يأتي الأعمال التي عملها كلمة الله] (فصل ١٥ : ٤) .

+ **أما** [إذا **إنحرفوا إلى الأرواح الشريرة** ، وجب أن يدركوا بعد أن رأوا « الكلمة » يطردها ، أنه وحده هو الله ، وأن تلك الأرواح لا شيء] (فصل ١٥ : ٥) .

+ فإذا إنحدرت عقولهم فوصلت **إلى الأموات** ، حتى عبدوا الأبطال ، والآلهة التي تحدث عنها الشعراء ، وجب ــ بعد أن رأوا قيامة المخلص ــ أن يعترفوا أن تلك آلهة كاذبة ، وأن الرب وحده هو الإله الحق ، كلمة الآب ، وهو رب الموت أيضاً] (فصل ١٥ : ٦) .

+ + +

ما أوضح وأجل كلمات القديس أثناسيوس ، وهو يشرح لنا كيف أن الرب بالتجسد أظهر لنا ألوهيته ، فأباد وكشف كل من تصور البشر قديماً أنهم آلهة : كالخليقة ، والإنسان ، والأرواح الشريرة ، وأرواح الموتى ... وهكذا أضاء ظلمة العقل البشرى ، وأشرق بنوره على الجالسين فى كورة الموت وظلاله ، كمعلم صالح .

لقد [غطى بأعماله كل أعمال البشر الذين سبقوه ، حتى إذا ما اتجهت أفكار البشر إلى أية ناحية ، إستطاع أن يستردهم من هذه الناحية ، ويعلمهم عن أبيه الحقيقى ، كما يقول عن نفسه : « أنا قد جئت لكى أطلب وأخلص ما قد هلك » (لو١٩ : ١٠)] (فصل ١٥ : ٧) .

+ + +

وهكذا صار هدف تعليم الإنسان ، وإنارة ظلمته ، من أهم أهداف التجسد الإلهى ... كمعلم صالح تنازل إلى تلاميذه الضعفاء .

+ + +

٨

• تشبيه الشمس •

هناك تساؤل مستمر : كيف يتنازل الله إلى عالمنا الفاسد وهو القدوس ؟ هل هذا معقول ؟!

يجيبنا القديس أثناسيوس بتشبيه الشمس ، التي تدخل شوارعنا وبيوتنا وحتى أكوام القاذورات ، فتظهر كل شيء ، دون أن تتدنس هي ...

فماذا قال ؟

[إن كانت الشمس التي خلقها هو ، والتي نراها ، وهي تدور في السماء ، لا تتدنس بمجرد لمسها الأجساد التي على الأرض ، ولا تنطفيء بظلماتها ، ولكنها بالعكس تنيرها ، وتظهرها أيضاً ... فبالأولى جداً كلمة الله ، الكلي القداسة ، بارىء الشمس وربها ، لم

يتدنس قط بمجرد ظهوره فى الجسد ، بل بالعكس ، لأنه عديم الفساد ، فقد أحيا وطهر الجسد ، الذى كان فى حد ذاته قابلاً للفناء ، لأنه قيل : « الذى لم يفعل خطية ، ولا وجد فى فمه مكر » (١بط ٢ : ٢٢)] (فصل ١٧ : ٦) .

+ + +

وفى هذا التشبيه نقف أمام الحقائق التالية :

١ ـ الشمس لا تتدنس بأدناس الأرض ، بل بالحرى تطهرها . كذلك الكلمة حينما تجسد ، لم يتدنس بل بالحرى قدس الجسد ، وجعل جسده بالقيامة جسداً روحانياً سمائياً ، وأصعده معه إلى السماوات ، كسابق لأجلنا ، إذ أنه سيحدث معنا نفس الشىء بالقيامة .

٢ ـ كذلك كما أن الشمس تنير الظلمات وتطردها ، دون أن تتأثر بها ، كذلك أنار الرب طبيعتنا بالمعمودية (سر الإستنارة) ويسكنى روح الله فى قلوبنا (بالميرون سر التثبيت) .

٣ ـ كما أن الشمس تظهر الأشياء المختفية ، كذلك الرب « أظهر » الإنسان ، ورفعه ، ومجّده ، وأعطاه كرامة عالية إذ [أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له] ... فصرنا فى مركز أدبى مرتفع فوق كل المخلوقات . حتى الملائكة صارت خادمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص .

+ + +

ما أمجد التجسد ، وما أمجد الإنسان بسبب تجسد الكلمة !!

وما أشقانا لو أهملنا كل هذه الإمتيازات ، وتخلينا عن كل هذه البركات !!

[لأنه لم يفكر فى مجرد التجسد ، أو مجرد الظهور ، وإلاَّ فلو أراد أن يتمم ظهوره الإلهى ، بطريقة أسمى وأفضل . لكنه أخذ جسداً من جنسنا ... من عذراء طاهرة بلا لوم لم تعرف رجلاً ... جسداً طاهراً وخالياً بالحق من زرع بشر ... أعد الجسد فى العذراء كهيكل له ، وجعله جسده بالذات ، واتخذه أداة له ، وفيه أعلن ذاته ، وفيه حلّ] (فصل ٨ : ٣)

[وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتها ... بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع ، وقدمه للآب ... شفقة منه علينا ، وذلك (أولاً) لكى يبطل الناموس الذى كاد يقضى بهلاك البشر ، إذ مات الكل فيه ... و(ثانياً) لكى يعيد البشر إلى عدم الفساد ... ويحييهم من الموت] (فصل ٨ : ٤) .

+ + +

طوبى لمَنْ يتمتع ببركات التجسد !!

وطوبى لمَنْ أحياه ابن الله المتجسد !!

وطوبى لمَنْ تمسك بنصيبه فى النعمة !!

٩

• تشبيه القديس أثناسيوس •

هذا هو التشبيه الخامس ، الذى إستخدمه القديس أثناسيوس ، ليشرح لنا عقيدة التجسد . إذ يقول :

+ [وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتها ... بذل جسده للموت عوضاً عن الجميع ... شفقة منه علينا ، وذلك (أولاً) لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر ، و(ثانياً) لكى يعيد البشر إلى عدم الفساد ... ويحييهم من الموت ... و ينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار] (ف ٨ : ٤) .

+ [النار بطبيعتها محرقة . فكما أنه إن قال إنسان هنالك مادة لا تخشى قوة النار المحرقة ، بل بالعكس تبرهن أنها ضعيفة ــ كما يقول الهنود عن

الإسبستوس — ولم يصدق أى شخص هذه الرواية ، فما عليه إن أراد أن يختبرها إلاَّ أن يأتى بهذه المادة و يضعها فى النار ليتأكد من الضعف الذى نسب إلى النار] (ف ٢٨ : ٣) .

+ [والمعلوم أن القش تفنيه النار بطبيعة الحال . فلنفرض (أولاً) أن إنساناً أبعد النار عن القش ، فإن القش ولو لم يحترق ، يبقى رغماً عن ذلك مجرد قش يخشى خطر النار ، لأن للنار خاصية إحراق . (ثانياً) بينما لو أحاط القش بمادة الأسبستوس (*) التى يقال عنها أنها تصمد أمام النار ، فإن القش لا يرهب النار فيما بعد ، إذ قد تحصن بإحاطته بمادة غير قابلة للإحتراق] (ف ٤٤ : ٧) .

+ + +

واضح أن القش هو الإنسان الضعيف ، الساقط فى الخطيئة ، والمحكوم عليه بالموت ، والذى من الممكن — لو تعرض لنار الدينونة أن تحرقه .

أما الاسبستوس ، أو أى مادة غير قابلة للإحتراق ، فهى رمز الفداء الإلهى ، وشركة الطبيعة الإلهية ، وتبرير النعمة ، وحصانة المسيح ، التى يحيط بها أولاده الخطاة التائبين ، وهكذا ينجون من الغضب الإلهى ، يوم الدينونة العظيم ، والنار المحرقة .

+ + +

وهكذا يكون التجسد طريقنا إلى حصانة شركة الطبيعة الإلهية ، وخلاصنا من نار الدينونة الرهيبة .

وبعـــد ...

أيها القارىء الحبيب ...

ها قد أوضح لنا القديس أثناسيوس بركات التجسد الإلهى ...

[أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له] .

« الذى شاهدناه ولمسته أيدينا ، من جهة كلمة الحياة ... نخبركم به ... ليكون لكم أيضاً شركة معنا ... أما شركتنا نحن

فهى مع الآب ، ومع ابنه يسوع المسيح . ونكتب إليكم هذا لكى يكون فرحكم كاملاً » (١ يو١ : ١ـ٤) .

إذن ...

فهيا معاً ... نغترف من بركات التجسد :

+ فداء لأنفسنا من الخطيئة ...

+ وتقديساً لكياننا ، ليصير هيكلاً للروح ...

+ وإستنارة لعقولنا ، لنعرف الله ...

+ وشركة فى الطبيعة الإلهية ...

وهكذا ندخل إلى الإتحاد بالله ... والحياة الأبدية !!

+ + +

هيا إذن ...

إلى فرحة عيد الميلاد ...

وكل عام وأنت أكثر قداسة وسلاماً وإثماراً ...

لمجد المسيح ، وإمتداد ملكوته .

فهرست

صفحة

مقدمة ٥

١ ـ أهمية عقيدة التجسد ٧

٢ ـ التجسد طريق الفداء ١٤

٣ ـ التجسد طريق المعرفة ١٨

٤ ـ التجسد طريق الإتحاد بالله ٢٢

٥ ـ تشبية الملك ٢٨

٦ ـ تشبية الفنان ٣٣

٧ ـ تشبية المعلم ٣٦

٨ ـ تشبية الشمس ٤٠

٩ ـ تشبية القشة والاسبستوس ٤٤

يطلب من

+ مكتبة الشباب ..

بطريركية الاقباط الأرثوذكس بالقاهرة

+ سائر المكتبات المسيحية ..